دور اللغة في صناعة الخطاب القصصي

أ.بوعافية أحمد

المركز الجامعي تمنراست

Boumanal11@gmail.com

ملخص البحث

إن المستوى الإبداعي الذي وصلت اليه اللغة في صناعة الخطاب القصصي، مرّ بمحطات عديدة أهمها إعادة النظر في التحليلات البنيوية لنسق اللغة، بهدف خلق إمدادات جديدة تتماشى والخصائص الشكلية المكونة لدراسة الأدب، فاللغة القويمة تشد بنيان الخطاب وتدعم أركانه من حيث ضمان انفتاح مشهدية الخطاب القصصي وصولا إلى روح الأدبية.

مدخل:

بات من العسير الوقوف على فنون النثر القصصي دون أن نتكلم عن أهم المحطات التي مر بها هذا النوع من الإبداع، إذ عرفت القصة تطورا كبيرا وتصدرت مكانا مرموقا بين مثيلاتها من الأجناس الأدبية الأخرى، غير أن هذا النوع من الفن لايزال يطرح عدة معضلات منذ قيامه، وهو ما جعل النقاد يتعاملون مع النص لقصصي بطريقة علمية بعد تفاعله إيجابا مع مختلف النظريات العلمية بهدف بناء فنيات فعالة تخدم القصة الأدبية، ومن بين أهم هذه الفنيات نجد اللغة.

فاللغة تكتسب دلالات متميزة، فحيثما نلتفت نجد اللغة حاضرة في كل محطات الخطاب الأدبي، فإعادة الاستثمار في اللغة يقتضي بناءا قصصيا جديدا يتماشى ولغة الحاضر،صناعة وتحليلا وأسلوبا، فاللغة نظاما ونسقا تسعى دائما إلى ضمان التواصل والارتقاء بلغة الخطاب، ففي إطار اللغة يتكون الخطاب.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

1- مفهوم اللغة بين الشكلانية والبنيوية:

يعدّ النقد من أهمّ الحوافز الدافعة إلى ازدهار الإبداع الأدبي، وتطوير أشكاله الفنية ومقاصده الفكرية والثقافية، وتنوّع مناهجه التحليلية. وما فتئ كلّ إبداع سردي أو شعري يقابل بإبداع نقدي في مواكبة دائبة عبر توالي العصور وتعاقب الأجيال. وما ازدهر الأدب في عصر من العصور إلا وكان النقد رافداً له؛ تفسيراً أو تقييماً أو إبداعاً، وكلما قلتَ القراءة المبدعة خبت جذوة الإبداع وقاربت الأفول؛ فوقف الكتّاب عند عتبة السائد، واكتفى النقاد والدارسون بما تحقق لديهم من مناهج وأدوات ورؤى؛ فجاءت قراءاتهم تقليدية مكرّرة، تكبت مقصدية النصّ، وتخبت طموح الناص.[1]

لذلك اهتمت الشكلانية الروسية كثيرا بالأدب وباللغة خصوصا، فالشكلانية بالرغم من قصر حياتها إلا أنها استطاعت أن تبني لنفسها صرحا عظيما في عالم الأدب والأدبية مما أثر بشكل مباشر على النص الأدبي شعرا كان أم نثرا، شكلانيون عرفوا عبر دراساتهم الجادة أن الأدب لن يكون ناجحا إلا بواسطة أداة متميزة وهي اللغة، بالرغم من أن "شكلوفسكي" يرى بان اللغة المستعملة في النصوص الأدبية تعتريها بعض الغرابة إذا مقارناها باللغة العامية البسيطة، وهنا ظهر مصطلح "التغريب" وهناك من يسميه "الإغراب"، وحقيقة أن قطعة من اللغة تسبب " الإغراب" ...فهي تسبب الإغراب فقط على أساس خلفية لغوية معيارية معينة، وإذا تغيرت هذه الخلفية فسوف تكف الكتابة عندئذ عن أن تكون قابلة للإدراك بوصفها أدبية.[2]

وهذا دليل على قوة العلاقات اللغوية مع الأدب فلقد "كانت الشكلية في جوهرها هي تطبيق اللغويات Linguistics على دراسة الأدب، ونظرا لأن اللغويات المعنية كانت من نوع شكلي تهتم ببنيات اللغة... فقد تغاضى الشكليون عن تحليل "المضمون الأدبي إلى دراسة الشكل الأدبي"[3].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما البنيوية فقد ظهرت على يد العالم اللغوي الكبير "فرديناند دي سوسير"، إذ يمثل كتابه " محاضرات في الألسنية العامة " سنة 1916 نسخة باكرة عن النموذج البنيوي للغة، أما محاولات تطبيق هذا النموذج على الأدب فتعود إلى سنة 1928، حين وضع "جاكبسون" وغيره برنامجا بهذا الخصوص وكانت تلك بداية البنيوية الأدبية[4]. حيث كشف الغطاء عن مفهوم البنية في علم اللغة.

فالبنيوية كان لها فضل كبير بعد الشكلانية في دراسة النص الأدبي لغويا، فلقد ساعدت على تطوير نموذج سردي استنادا إلى النموذج اللغوي، ولا عجب فمسألة اللغة تتصل اتصالا وثيقا بالبنيوية، وما هي تصطنعه من نمذجة، كما أن الإمكان الهائل الذي يوفره العنصر اللغوي في التحليل البنيوي جعل مقاربة الأدب تتحلى بالعناية العلمية بالعلاقات، الشكل، .... ناهيك على أن التحليل اللغوي نفسه ظل مثالا للتحليل البنيوي.[5]

إن البنيوية ساهمت بشكل كبير في دراسة مختلف الظواهر المنطقية والعلمية " كالمجتمعات والعقول واللغات والآداب والأساطير"[6] وذلك من خلال أهم مدرسة وهي مدرسة "براغ" ، والتي عنيت بدراسة الظاهرة الأدبية، خاصة عند رائدها"جاكبسون" الذي ميز بين وظائف اللغة.

من ذلك نرى تحمس النقاد، خاصة في فرنسا للبنيوية، واعتبروا "الأدب" شكلا من أشكال النشاط الاجتماعي والثقافي. لذلك راحوا يميطون اللثام عن " المنظومة الدلالية" التي وراء الأدب، يستهدون في ذلك باللغة، وأنه مثلما "المعنى" في اللغة لا يعود فقط إلى المتكلم، وإنما يعود إلى المنظومة اللغوية ككل فكذلك الحال في الأدب، حيث المنظومة الدلالية هي الأساس.[7]

فالنص الأدبي لا يمكن اعتباره مجرد ممارسة محررة للنص اللغوي فحسب، بل هو رسالة ناجمة عن نظام معين في المفاهيم والشفرات ...فلا بد أن النص الأدبي الخواص الناجمة عن عمليات التشفير وعلاقاتها الجدلية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تها البنيوية، مما يجعلها تؤلف شفرة أدبية عامة يعتمد عليها في تحديد الأجناس والعصور الأدبية.[8]

ومما سبق يتضح لنا مدى اهتمام الشكلانيون الروس باللغة في ظل ذلك الزخم الفلسفي الذي اعتمد على المنطق آنذاك كأداة للتحليل، فقد اعتمدوا في دراساتهم الأدبية على التحليل اللغوي كمنطلق لنظرياتهم اللغوية.

بنيوية فقد فرضت نفسها لقدرتها الكبيرة على فهم الأدب، فقد اهتمت كثيرا بالنص من خلال علاقته المتشابكة والمتكاملة مع اللغة، حيث استطاعت بهذا أن تطور الأعمال الأدبية وخاصة القصصية، لأنها تسير وفق نظام خطابي دقيق هدفه الكشف عن طبيعة آليات السرد المشكلة لبنية المتن الحكائي.

2- اللغة بين الكتابة والقراءة:

في الأدب، لا تكون اللغة مجرد وسيلة اتصال، إذ هي في الأساس وسيلة تعبير، وتحمل مضامين معينة يريد الأديب الإفصاح عنها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، فبمقدار ما نقول إن للأدب مضمونا، تظل اللغة هي مضمون الأدب ويظل الأدب كما يقول "تودوروف" ضربا من التوسيع والتطبيق لخصائص لغوية معينة.[9] فالعديد من الناقدين اهتموا بسيادة الأدب وعلاقته باللغة؛ فهذا"بارث" يرى:"إن الأدب يمثل سيادة اللغة " ويقول أيضا "...اللغة هي وجود الأدب، هي عالمه الخاص، والأدب بكامله قائم في عملية الكتابة".[10]

فلولا الكتابة ما عبرت اللغة عن الأعمال الأدبية سواء في الحاضر أو الماضي أو ما سوف يتم إخبارنا به في المستقبل "فحاضر الكتابة وليد الماضي، وماضيها وليد القديم البعيد"[11].ومستقبلها وليد الحاضر،"فالكتابة بالمعنى الواسع هي كل نسق سيميوطيقي مرئي ومكاني وهي بالمعنى الحصري أيضا نسق خطي لتدوين الكتابة"[12]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالكتابة هي ترجمة وانعكاس لشعور المؤلف، ذلك لأنها لحظة تمتزج فيها الذات بالموضوع، لحظة تأخذ فيها الذات صفة الموضوعية، ويأخذ فيها الموضوع صفة الذات، فهي ملتقى اللغة والأيديولوجيا.[13]

ونقف هنا وقفة مع الروائي "الطيب صالح" في روايته "موسم الهجرة إلى الشمال" والتي عبر فيها من خلال الراوي عن مدى حنينه لبلده، فيتجلى في النص شعور المؤلف ومنه يحس القارئ بانصهار الكاتب في ذاته ووجدانه شوقا لوطنه.

"عدت إلى أهلي يا سادتي بعد غيبة طويلة، سبعة أعوام على وجه التحديد، كنت خلالها أتعلم في أوروبا. تعلمت الكثير، وغاب عني الكثير، لكن تلك قصة أخرى، المهم أنني عدت وبي شوق عظيم إلى أهلي في تلك القرية صغيرة عند منحنى النيل، سبعة أعوام وأنا أحن إليهم وأحلم بهم، ولما جئتهم كانت لحظة عجيبة أن وجدتني حقيقة قائماً بينهم، فرحوا بي وضجوا حولي، ولم يمض وقت طويل حتى أحسست كأن ثلجاً يذوب في دخيلتي، فكأنني مقرور طلعت عليه الشمس، ذاك دفء الحياة في العشيرة ،....." [14]

إن قراءة النص عبر أي لغة يكشف أسرار النص الأدبي "فالعلاقة بين النص الأدبي والقارئ يجب أن تكون علاقة ود وحوار، فالنص يطرح تجربة هي تجربة الكاتب، والقارئ يملك تجربة في سياق ما من سياقات الحياة، فإذا اجتمعت التجربتان على مبدأ الحوارية فإن القراءة عندئذ تخلق عالما جديدا من المتعة".[15] ونشاطا للفكر، فـ"القراءة نشاط ذهني يمارسه القارئ"[16] عبر اللغة المستعملة.

إذن: "فالقراءة تتطلب من فاعلها الوعي والقدرة، وهما عاملان لهما وزنهما، فنحن في زمن تمر فيه الأفكار العظيمة في رداء بسيط وأخاذ، والوعي هو إدراك الشيء على حقيقته من خلال قراءة عميقة تستحضر العناصر الثقافية والاجتماعية للفرد، والقدرة هي امتلاك الأدوات التي تنجح فعل القراءة".[17] ومنه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تصبح القراءة عملية معرفيه لا استهلاكية قوامها في ذلك إدراك المعاني من خلال القدرة على التحليل والاستنتاج.

من جهة أخرى يجب على القارئ لزاما امتلاك صفة الذكاء والتمحيص في ما يقرؤه والتفريق بين الرديء والجيد، سواء من ناحية اللغة أو الأسلوب"فليس جائزا أن يبقى "القارئ" مجرد متلق خاضع لسطوة النص،...مثل إسفنجة تمتص كل ما يصلها"[18]

3– جماليات اللغة ضمن الخطاب القصصي:

إن القصة برهنت كثيرا على شد انتباه القراء وخاصة القصيرة من خلال جمالياتها الفنية " ليس ثمة شك في أن (القصة القصيرة) كعمل أدبي وفني ما هي إلا حقل تنمو فيه المفردات والتراكيب وتتلاقح الصور والدلالات لتنتج في النهاية إحساسا جماليا وتذوقا فنيا"[19] ،فالمتلقي يتفاعل مع أحداث القصة عن طريق اللغة "فإذا كان المتلقي يتهيأ لاقتناص (الحدث) ويتفاعل معه من خلال النسيج الفني للقصة، فلا بد له من أن يحصد (اللغة) بمفرداتها وصورها، ليزداد ثراء باللغة كما ازداد تفاعلا بالحدث".[20]

وبما أن الحياة كلها أحداث فان القصة تتعامل مع الوقائع من حيث الدلالة أو المعنى " ل أحداث الحياة ووقائعها تصلح لأن تكون قصة بالمعنى المجرد لكن القليل من هذه الأحداث هو الذي يتحول إلى قصة بالمعنى الفني الجمالي، وذلك لن يتم إلا إذا تناغمت لغة القصة مع الحدث وعناصر القصة الأخرى واشتبكت خيوطها التي تكون نسيج القصة وبناءها"[21]؛ فاللغة تعبير عن موقف عملي، إنها تعبر مباشرة عن أفكار الأفراد ومشاعرهم.[22]

وهناك من يرى أن المرجعية الأولى في الكتابة القصصية تتمثل في اللغة والمعنى، فلا كتابة بدون لغة ولا معنى بدون معرفة توظيف آليات اللغة، فهي التي تحدد مستويات الفهم بين المؤلف والقارئ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واللغة تعبر عما يحدث في المجتمع، فهي وسيلة فعالة للتعبير عن واقع الحياة أو سلبياتها ضمن إطار سردي يتسم بالفاعلية للوصول إلى الغاية المنشودة، فلم "تعد اللغة انعكاسا في الذاكرة الإنسانية لشكل خارجي، ولكنها صارت أداة للتعبير عن تجربة حسية للإنسان ومعاشه"[23].

من الصعب أن نجد إنسانا يتخلى عن اللغة سواء في كتاباته أو في حياته اليومية، لأنها تمثّل له نوعا من الجمال اللغوي والحسي، ووسيلة لتوصيل المعنى عبر أدوات التعبير؛ وعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة وحسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى.[241]

وقد أصاب "كروتشيه" عندما أكد على أننا " كلما طرقنا أبواب اللغة كلما انفتحت لنا عن بعد ظاهرة جمالية جديدة، إن كل قطاع من قطاعات اللغة ينطوي على بعد جمالي نفسي، فاللغة بناء على هذا باتت علما جماليا".[25]

وهذا ما لمسناه عند الروائي "عبد الله خمار "في روايته "كنز الأحلام" حين وظف الوصف العجائبي عبر بنية بلاغية راقية، مطلقا العنان لخياله مداعبا مجاز اللغة بوصفها مظهرا تركيبيا في صناعة لغة النص ،مترجما للقارئ حالته النفسية، عبر وظيفة تأثيرية هدفها تجسيد العلاقة بين المرسل والمتلقي"...تملكني الخوف لحظة وخفت أن يظهر حارس الكنز في شكل عفريت أو أفعى ضخمة سوداء تلتف حول عنقي فتحيلني إلى هيكل عظمي. لأول مرة أدرك مغزى القصص التي قرأتها والأفلام التي شاهدتها عن الكنوز وفي معظمها ترى الباحث عن الكنز يجد بجانبه هياكل عظمية لمن سبقوه ثم فجأة يغلق عليه باب المغارة ليكون مصيره كالآخرين".26

لقد اهتم النقاد باللغة وجمالياتها فـ "...احتفاء النقد الأدبي باللغة وكشفه لياتها وفنيتها ليس حديثا، بل هو ممتد مع الإنسان في مراحل إبداعه الأولى"[27]. ويقول تودوروف: "إن كل ما يفعله الكاتب هو قراءة اللغة، بمعنى أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأدب هو حديث عن اللغة نفسها، بل إن الأدب بتحرره من الالتزام الدلالي يظهر تفوق اللغة على غيرها من النشاطات".[28]

4- علاقة الأسلوب باللغة:

علم الأسلوب "فرع من فروع الدرس اللغوي الحديث يهتم ببيان الخصائص التي تميز كتابات أديب ما"[29]، فالكاتب المتمرس هو الذي ينظر للأسلوب على أنه تقنية مميزة "فالأسلوب هو طريقة في الكتابة وهو استخدام الكاتب لأدوات تعبيرية من أجل غايات أدبية"[30]، خاصة في ميدان السرد القصصي أو الروائي،" فإذا كانت (القصة) هي التتابع للأحداث، (فالنص) هو الخطاب المنطوق أو المكتوب المتعهد بالقول"[31] ضمن أسلوب أدبي يعبر عن الرقي في الكتابة، فالأسلوب هو تلك الطريقة التي يتبعها الكاتب في كتاباته أو ذلك الجهد الذي يتحمله بغية صناعة الكتابة وتنميقها.

فالأسلوب أداة فنية يستعملها الكاتب من أجل توفير الدلالة للقارئ، حيث أن الدراسات اللغوية اشتغلت كثيرا بالأسلوب وبدراسة اللفظ والمدلول وبعلم الدلالة ودراسة المعنى فالأسلوب الحقيقي هو الذي يؤثر على المتلقي من خلال الدلالة الواضحة في إبراز المعاني والتعبير عنها.

من خلال ما سبق نرى اهتمام الأسلوب باللغة، وبعطائها التعبيري لتنال إعجاب القارئ وتشد انتباهه، وتصدم خياله بإبراز الشكل أكثر حدة، وأكثر غرابة، والأكثر طرافة وأكثر جمالا.[32]

وعن أهمية علاقة اللغة بالأسلوب فيذهب الأسلوبيون إلى أن "الأسلوب" ظاهرة تلازم تحقق العملية اللغوية المحكية أو المكتوبة ...إلا أن مجالها الحقيقي هو النص، والذي يتسع لمقاصد البث اللغوي، كما يتسع للتفنن في الكتابة، فيكشف عن فرادة صاحبها.[33]

فلكل كاتب نمط في كيفية سياق كتاباته، وهذا ما يميزه عن غيره، فنجد مثلا قصة المرضة الثائرة لمؤلفها محمد صلاح الدين، التي تميزت بنمطية سردية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسيطة، حيث استعمل الكاتب لغة المجتمع الجزائري آنذاك والتي كانت خليطا بين الفصحى والعامية وبعض المفردات الفرنسية. ولنأخذ مثالا من القصة، إذ تتجسد لنا بساطة الأسلوب وعفوية اللغة، في حوار شيق دار بين شاب جزائري مثقف يكره الاستعمار وبين أبيه:

"...وكانت أول كلمة وجهها الوالد لابنه هي إبلاغه نصيحة "جيرفيه" يا بني أوصيك والابتعاد عن أصحاب الجبل...ورد عليه "حامد" مغضبا: مع احترامي لك يأبي أحذرك بعدم التعرض لإخواننا المجاهدين بالنقد...ورد عليه الوالد محذرا مرة أخرى: لكن يا بني إن عسكر فرنسا كان قد قتل أفراد عائلة الحاج "بوثور" عن آخرهم...وهل تريدني أن أخلفك في العمل ببستان "جيرفيه"؟ ورد الأب: لكن يا بني إن الرومي قال لي أنك نجحت وأنك ستحصل على وظيف ممتاز ... اسمع يا بي إنهم يريدوننا أن نعمل لهم في نطاق الخيانة ...وضاق الوالد ذرعا بتصلب ابنه وفي محاولة يائسة قال له، ولكن خروج فرنسا سيكون مستحيلا ما لم يظهر الإمام المهدي المنتظر، وان الإمام وحده هو الذي يستطيع إخراج فرنسا ... لكن يا أبي لو كانت أسطورة الإمام المهدي المنتظر حقا فلماذا لم ينتظره المصريون والسوريون والهنود وغيرهم؟ لكن المهدي المنتظر هي الرشاشة والرشاشة وحدها ..."[34]

ومنه نلاحظ أن أسلوب الكاتب كان يعتمد في كيفية مخاطبة القارئ بلغة عصره ليفهمه الجميع هدفه بذلك إيصال رسالة دون تنمق أو تكلف.

فإذا كان النقد الأدبي يبحث في المعاني والأفكار، وفي الخيال والعاطفة، وعن التجربة والصدق الفني، وكل هذه الأمور التي تدخل في مضمون النص الأدبي ومحتواه، فان الشكل هو الموضوع المناسب للدرس في علم الأسلوب وفي علم اللغة.[35]

ويذهب "ديفيد روبي" إلى أن الأسلوب هو: "سياق الاستخدام الأدبي للغة" ويحصر هذا الاستخدام في أربعة طرائق[36]: كون الأسلوب زخرفة–ودلالة ذاتية–وكونه تمثيلا–ونمطا. لذلك أكد "بيريلمان" على ربط شكل القول بمضمونه،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي ربط مظهره بمادته، وعدم الفصل بينهما ...إذ إن هناك أشكالا للقول لها تأثير جمالي، مثل الاتساق أو الانسجام والإيقاع أو الجرس وغير ذلك من الخواص الشكلية، فهذه الأشكال تمارس تأثيرا على الجمهور بما تثيره فيه من عواطف الإعجاب أو البهجة أو الحزن.[37]

فإذا ما سلمنا بأن الأسلوب يعالج القصة لغويا فانه كذلك من حيث الفنيات الأسلوبية، فـ"القصة ليست هي مجرد الحوادث أو الشخصيات إنما هي قبل ذلك الأسلوب الفني، أو طريقة العرض التي ترتب الحوادث في مواضعها [38]، فالأسلوب مجالاته متعددة ضمن سياق الكتابة الأدبية.

5- علاقة السرد باللغة:

لقد اهتمت الدراسات الأدبية كثيرا بالعلاقة الموجودة بين النص الأدبي واللغة، فلا شك أن المدخل اللغوي لفهم النص يعد من أكثر المداخل انضباطا وتقنينا، فمن المعلوم أن علم اللغة من أسبق العلوم الإنسانية في العصر الحديث اقترابا من المناهج العلمية.[39]

فقد تكلم النقاد كثيرا عن العلاقة الموجودة بين النص الأدبي واستعمالات اللغة، فجماليات النص من جماليات اللغة، والأديب في نصه هو من يصنع الخطاب عبر نظام لغته السردية،حيث إن النصوص يقوم بها المؤلف والقراءة يجسدها القارئ وما بينهما يسمى نصا أدبيا.

فاللغة تظهر تجلياتها في التجربة الأدبية من خلال النصوص، لذلك ندرك أن اللغة والتحليل اللغوي للنص الأدبي كان موضع الاهتمام من النقد القديم والحديث على السواء وإن اختلفت طرق التناول ووسائل العرض، وأن البحث عن جماليات اللغة كان قديما ورافق الأدب في مختلف مراحله[40]، بصفته القاعدة الرئيسية في العملية السردية، من هنا ذهب "تودوروف" إلى أن النموذج اللغوي هو القاعدة للنموذج السردي، لأن اللغة، في نظره، هي النموذج الرئيسي لجميع المنظومات الدلالية .... لذلك عمل "تودوروف" على تفعيل أدبية الأدب[41]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالأديب في نصه يصنع الخطاب من خلال اللغة السردية "إن لغة العامة لا تعدو كونها أحد الاصطلاحات التعبيرية التي وهبت لألسنية الخطاب".[42]"فلغة السرد عادة ما تكون لغة القاص نفسه يضمنها رأيه وموقفه... وبرغم أهمية لغة الحوار والشخصيات والحدث إلا أن السرد يتضمن شيئا من القصدية التي لا تغيب عن وعي الكاتب"،[43]يعبر عنها بكل أريحية ليقدمها للقارئ عله يجد في نصه متعة واندماجا. فالنص نوع من اللذة بل إنه واقعة غزلية.[44] أو هو فعالية كتابية، ينضوي تحتها كل من المؤلف الباث، والقارئ المتلقي، وبنتيجة التواصل والمشاركة اللذين بينهما يكون النص جزءا من – كلام ممومضع–في منظور كلامي معين[45]، له أهميته ودلالته.

لذلك استطاع النقاد المحدثون أن يصلوا إلى خصائص النص الفنية عبر الزمن فأيقنوا بأن للنص دلالات متعددة ومتنوعة، تعدد بتعدد الاستعمالات في القديم والحديث، وتتنوع بتنوع المنشغلين به لغة واصطلاحا.[46] فقد كان النقد التقليدي يرد السرد إلى واقع خارج اللغة، فيرده إلى عقل المؤلف أو إلى شخصيته، أو إلى الواقع الذي حصل فيه...إلا أن كل ما يحدث–في النص–الآن يعود إلى اللغة نفسها، وإلى ما تكشف عنه من شيفرات ورموز.[47]

إن اللغة متميزة بعطائها ومتفردة بمضامينها فهي"عبارة عن أصوات وصيغ وكلمات وجمل ثم نصوص"[48]، وهي لصيقة بالنصوص لتمدها بذلك المشهد البراق الذي يعبر عن مكانتها "إن النصوص تحيط بنا، تتكاثر بأزيائها الباهرة، تحاصرنا تغوينا توفر علينا الجهد، جهد الفهم والمعرفة،تبث، توصل لتبقينا مجرد متلقين".[49]

فهذا "جبران خليل جبران" اتسمت قصته "الأجنحة المتكسرة" بخيالها الواسع معتمدا في ذلك على لغة متميزة هدفها الولوج إلى أعماق القارئ من خلال لغته السردية البسيطة؛ فجاءت في لباس بسيط، منمق بخيال جامح هدفها تبليغ رسالة للمتلقي من خلال ثارة عواطفه، فألفاظ القصة تستمد قوتها من خيوط النسيج اللغوي المشكل للخطاب اليومي المتداول على ألسنية العامة، فهي تتصف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بجمالية اللغة الجاذبة للقارئ والمشوقة له من خلال توظيف آليات السرد الخطابي المكونة لجماليات التلقي، عبر تصوير تخييلي رائع.

وأجمل ما يشد الانتباه في القصة هو طريقة تصويره للأشياء، فتصويره مثلا لدولة " لبنان" كان عبر لغة بديعة "....هو لفظة شعرية لا اسم لجبل، لفظة ترمز عن عاطفة في النفس وتستحضر الى الفكر رسوم غابات من الأرز يفوح منها العطر والبخور، وأبراج من النحاس والرخام تتعالى بالمجد والعظمة،وأسراب من الغزلان تتهادى بين الطول والأودية"[50]

فنلاحظ أن نمطية الكتابة السردية عبر خاصية لغوية متفتحة على أفق الخيال خلقت لنا وصفا جماليا راقيا يبرز جودة النص الأدبي ومنه إجبار القارئ على التلقي.

خاتمة

يمكن في الأخير أن نستنتج ما يأتي:

- اللغة ما هي إلا مجموعة من الرموز المتعارف عليها، تعبر عن معاني معينة تقدّم للقارئ ضمن قالب نصي، فالقالب الذي تقدّم فيه اللغة إلى القارئ هو السر الحقيقي للارتقاء بالنص، على الرغم من اختلاف وجهات النظر بين المنادين لكلاسيكية اللغة أو المتمردين عليها.
- تواصل الإبداع مرهون بتحديات الكتابة الفنية الحديثة والتي تستلزم الاهتمام أكثر باللغة باعتبارها وسيلة من وسائل التواصل بين المبدع والقارئ.
- الفنيات القصصية ما تزال تتطور بتطور اللغة، ضمن مناهج العلوم النقدية المعاصرة، مما يخلق فضاء واسعا لتطوير الخطاب الأدبي.
- الاهتمام ببنية اللغة من المنظور الحكائي يساهم في خلق مظاهر جديدة تتعلق بسرديات الخطاب اللساني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- إنتاجية اللغة وتناظرها مع سياقات توظيفها يتطلب جدية في تحليل الخطاب من حيث البنية والشكل تحت سقف مخابر البحوث العلمية المعاصرة.

هوامش:

[1] حلام الجيلالي، المناهج النقدية المعاصرة من البنوية إلى النظمية، السعودية، موقع اليكتروني منتديات ستار تايمز : www.startimes.com، التاريخ : 2009/01/16، الساعة 21:53 .

[2] تيري ايجلتون، مقدمة في نظرية الأدب، ترجمة أحمد حسان، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1991، ص: 16.

[3] المرجع نفسه، ص: 14.

[4] ليونارد جاكسون ، بؤس البنيوية ، ترجمة ثائر ديب ، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع ،ط2، سوريا،2008، ص:47.

[5] عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص 75.

[6] ليونارد جاكسون، بؤس البنيوية، ص:47

[7] عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص 75.

[8] صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر ،ميريت للنشر و المعلومات ، ط1، القاهرة ، 2002، ص:165.

[9] بيير جيرو، الأسلوبية، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط02، سوريا ،1994، ص:36.

[10] المرجع نفسه: ص: 76/75.

[11] رولان بارت، النقد البنيوي للحكاية، ترجمة انطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت–باريس، ط1، 1998، ص: 10.

[12] تزفيتان تودوروف، مفاهيم سردية، ترجمة عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر ،2005، ص: 11.

[13] مخلوف عامر، مظاهر التجديد في القصة القصيرة بالجزائر –دراسة–منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،1998، ص 18.

[14] الطيب صالح، موسم الهجرة الى الشمال، دارالعودة، بيروت، ط14،1987،ص:05.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

15 رمضان حينوني، "الملك هو الملك" لسعد الله ونوس–محاولة لإحياء التراث أم توظيف نقدي–، مجلة آفاق علمية، (المركز الجامعي تمنراست)، الجزائر، العدد الرابع، 2010 ، ص: 31.

16 يمنى العيد، الراوي الموقع والشكل –بحث في السرد الروائي–، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط:01، 1986ص: 13.

17 رمضان حينوني، "الملك هو الملك" لسعد الله ونوس، ص:34.

18 يمنى العيد، الراوي الموقع والشكل، ص: 20/19

19 علي عبد الجليل، فن كتابة القصة القصيرة، ص: 03.

20 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

21 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

22 بيير جيرو، الأسلوبية، ص:36.

23 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

24 الجاحظ، البيان والتبيان، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ج1، ط07، القاهرة، 1998. ص:75

25 على عبد الجليل ، فن كتابة القصة القصيرة ، ص: 15.

26 عبد الله خمار، كنز الأحلام، دار القصبة للنشر، الجزائر،2009، ص:81.

27 على عبد الجليل ، فن كتابة القصة القصيرة ،ص:23.

28 عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص: 75.

29 محمد عبد الله جبر، الاسلوب والنحو –دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الاسلوبية ببعض الظاهرات النحوية، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1988، ص: 06.

30 بيير جيرو، الأسلوبية، ص:17.

31 شلوميت ريمون كنعان، التخييل القصصي –الشعرية المعاصرة–، ترجمة لحسن أحمامة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء،1995، ص:13/12.

32 عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص 37.

33 المرجع نفسه، ص:43.

34 محمد صلاح الدين، الممرضة الثائرة، المطبعة العصرية، الدار البيضاء المغرب،ط1، 1966 ،ص: 24/23

35 بيير جيرو، الأسلوبية ، ص:11/10.

36 عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص:36.

37 المرجع نفسه، ص 54.

38 سيد قطب ، النقد الادبي –أصوله ومناهجه– دار الشروق ،ط07، القاهرة ،2003، ص:88 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[39] عبد الرحيم الكردي ، قراءة النص –تأصيل نظري وقراءات تطبيقية– الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط1، القاهرة، 2013،ص:49.

[40] علي عبد الجليل، فن كتابة القصة القصيرة، ص: 17.

[41] عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص:78.

[42] رولان بارت، النقد البنيوي للحكاية، ص:95.

[43] علي عبد الجليل، فن كتابة القصة القصيرة، ص: 60/59.

[44] عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص:18.

[45] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[46] سعيد يقطين ، الكلام والخبر –مقدمة للسرد العربي–المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، 1997 ، ص 53.

[47] عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ص:83.

[48] عبد الرحيم الكردي ، قراءة النص، ص:40.

[49] يمنى العيد ، الراوي الموقع والشكل، ص: 19.

[50] جبران خليل جبران، الاجنحة المتكسرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة– الجزائر،2011، ص: 31

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com